منشورات كلية البابا كيرلس السادس اللاهوتية
بكرازة المرقسية

تعليم كنيسة الاسكندرية فيما يختص بطبيعة السيد المسيح

ارشيدياكون
وهيب عطا الله جرجس
دكتور في الآداب والدراسات المصرية والقبطية
وبكالوريوس في اللاهوت
وليسانسيه في الفلسفة

منشورات كلية البابا كيرلس السادس اللاهوتية
للكرازة المرقسية

سلسلة الأبحاث اللاهوتية والعقيدية

تعليم كنيسة الاسكندرية وأخواتها الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة فيما يختص بطبيعة السيد المسيح

ارشيد بايكون
وهيب عطا الله جرجس
دكتور في الآداب والدراسات المصرية والقبطية
وبكالوريوس في اللاهوت
وليسانسيه في الفلسفة

يونيو ١٩٦١
بشنس ١٦٧٧

الراعى الأكبر لكلية اللاهوت الاكليريكية
صاحب القداسة البابا كيرلس السادس بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية
فى كل أفريقيا والشرق الأدنى

منشورات كلية البابا كيرلس السادس اللاهوتية
للكرازة المرقسية

رأت الكلية الاكليريكية إسهاماً منها فى إيقاظ الوعى المسيحى الأرثوذكسى أن تنشر كتباً صغيرة ، يعالج كل منها موضوعاً من موضوعات التقوى ، أو الكتاب المقدس أو العقيدة أو الطقس أو التاريخ وما إلى ذلك .

وستنشر هذه الكتب إن شاء الله فى عدة سلاسل روحية منها :

١ — سلسلة المباحث المتصلة بالكتاب المقدس .
٢ — « الكتب التأملية والتقوية .
٣ — « المباحث اللاهوتية والعقيدية .
٤ — « المباحث الطقسية .
٥ — « التاريخ الكنسى وسير الآباء .
٦ — « المباحث المتصلة بالشباب والأسرة .
٧ — « المباحث المتصلة بالمجمع القبطى والإصلاح الكنسى .

ونحن نرجو الرب الإله أن يبارك هذا المشروع لخلاص نفوس كثيرة ، ولبنيان الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية ، ولخدمة الحق لجميع الخلق .

منـــاجاة

إلى القديس العظيم بطل الأرثوذكسية الأشهر
البابا أثناسيوس الرسولى

إليك يا سيدى البابا نُهدى سلسلة المباحث اللاهوتية والعقيدية ، لأنها من وحيك والهامك ، وبفضل توجيهك وإرشادك ، وثمرة لكفاحك وجهادك !

فيك رأينا أرثوذكسية الإيمان وأرثوذكسية السيرة معاً !

ومنك تعلّمنا كيف يكون الوفاء للحق ، والاستمساك بالتقوى ، والحرص على وديعة الإيمان .

ولقد وهبك الرب عقلا شاخصاً فى الإلهيات ، فكان تعليمك سليماً كل السلامة ، وكان تعبيرك دقيقاً غاية الدقة !

ولم يكن طريقك سهلا . . . كان قولك مؤذياً لمسامع المنحرفين ، وكان شخصك ثقيلا على أنفاسهم الفاسدة ، فكرهوك ولعنوك . . ومع ذلك لم يقووا على أن يقاوموا النعمة الساكنة بجنانك ، أو يناقضوا الحكمة الناطقة على لسانك !

أثاروا عليك حرباً شعواء ، وطاردوك ونفوك ، ولكنك صمدت وقاومت وأخيراً غلبت ونجحت ، لأن الحق الذى فيك أعظم من الباطل الذى فيهم !

لولاك يا سيدى البابا لكان الإيمان الذى عندنا غير الإيمان الذى تسلمته أنت من أسلافك أيها البطريرك الرسولى !

لهذا نحييك تحية للفضيلة فى شخصك . ونطأمن رأسنا أمام عظمة ابوتك ؛ تقديراً لتاريخك . واقتداء بسيرتك فى الإيمان ، يا حامى الإيمان !

إبنك المخلص

وهيب عطا الله جرجس

يشتمل هذا الكتاب على مقالين :

المقال الأول:

الكلمة التى القاها المؤلف ممثلاً لوجهة نظر كنيسة الأسكندرية فى المؤتمر العالمى الذى انعقد بمدينة القدس القديمة فى المدة من ١٢ — ١٥ أبريل ١٩٥٩م (من ٤ — ٧ برمودة ١٦٧٥ ش) .

ابتداء من صفحة ١٠ إلى صفحة ٢٩ .

المقال الثانى:

الرد على مقال للدكتور مجدى وهبة عن الأرثوذكسية

ابتداء من صفحة ٣١ إلى صفحة ٣٨

تعليم كنيسة الاسكندرية
وأخواتها الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة
فيما يختص
بطبيعة السيد المسيح

ثمة مسألتان جديرتان بالنظر ، فيما يختص بكنيستنا القبطية الأرثوذكسية المرقسية الاسكندرية .

الأولى : أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة شديدة المحافظة والاستمساك بالتعليم المسيحى القديم والتقليد الرسولى الأول .

يمكن أن يقال بصفة عامة أن شعبنا القبطى من أعرق الشعوب تديناً ، إن لم يكن أعرقها بالفعل ، على ما يقول المؤرخ اليونانى هيرودوت . هذه الخاصية لازمتنا لا منذ اليوم الذى اعتنقنا فيه دين المسيح فقط ، بل قبل ذلك بقرون طويلة ، أعنى منذ بدأت الحضارة الأولى وقبل أن يبدأ التاريخ . فالشعور الدينى موروث فى شعبنا ، وحبُّه يجرى فى عروقنا ودمائنا . ونحن لا نجرؤ على أن نغيّر فى عقائدنا الدينية كما سلمتها إلينا

كنيستنا . ولقد نشأنا وتربينا على مبدأ المحافظة على تعليمنا المسيحى ، وعلى أن نسلمه إلى أولادنا والآتين بعدنا بدون أى تحوير أو تغيير ، وعلى أن نتركه وديعة فى أيديهم فى صورته الأولى القديمة ، طاهراً من كل زيادة أو نقص ، طبقاً لأمر ربنا فى سفر الرؤيا « ولكن تمسكوا بما هو عندكم إلى أن أجىء[١] .

الثانية : أن الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة روحانية عميقة ، أو هى كنيسة صوفية باطنية جوّانية .

لقد جابه قادتها الروحانيون الفلسفة والفلاسفة ، ومع ذلك عرفوا أن لا يخلطوا الدين بالفلسفة . فليس أخطر على ديانتنا من خلط الدين بالفلسفة . هذا الخلط هو أصل الهرطقة[٢] . وإن أكثر الهراطقة[٣] بدأوا رجالاأتقياءولكنهم خلطوا الدين بفلسفتهم الخاصة فضلّوا وهرطقوا . على أن الفلسفة فى ذاتها نافعة ، وهى هامة وضرورية لرجال الدين

(١) رؤيا ٢ : ٢٥

(٢) الهرطقة كلمة دخيلة على اللغة العربية من اللغة اليونانية ، وهى تفيد فى أصلها اليونانى (مدرسة فكرية) ولكنها أمست تقال اصطلاحيا على كل مذهب دينى انحرف عن المذهب الأرثوذكسى .

(٣) الهراطقة هم « الخوارج » على الكنيسة .

واللاهوتيين . يجب على رجل الدين أن يدرس الفلسفة ويتعمق فى دراستها ليصبح على علم بأساليب الفلاسفة وطرق تفكيرهم ، ومن ثَمَّ يكون أقدر على أن ينفذ إلى عقولهم فيقنعهم بحقائق الديانة المسيحية . ولكن هناك فارق ضخم بين أن يقرأ رجل الدين الفلسفة ويناقش نظرياتها ، وبين أن يتحوَّل الدين عنده إلى فلسفة . ولعل من أكبر الأخطاء التى يقع فيها المفكرون أحياناً أن يظنوا أن المصطلحات والتعبيرات الفلسفية قادرة على أن تنقل نقلا أميناً ودقيقا المعانى اللاهوتية . إن المصطلحات الفلسفية لا تصلح دائماً أن تعبر تعبيراً صادقاً عما يريد الفلاسفة أنفسهم أن يبيِّنوه ولهذا يضطرون أحياناً لضيق اللغـــة ، أن ينحتوا ألفاظاً جديدة للتعبير عن المعانى الجديدة التى يقصدونها . وهناك فلاسفة آخرون يكتفون باستعمال الألفاظ المألوفة ولكن بمعانى أخرى جديدة مختلفة بعض الاختلاف ، أو بعيدة كل البعد عن المعانى المعروفة . وإذا كان ذلك كذلك فيما يتصل بدائرة الفلسفة ، أفلا يكون الأمر نفسه فيما يتصل بدائرة الدين والألهيات ؟ بل ألا يكون حرياً بالأكثر فى شئون ديانتنا أن لا نعتمد فى فهم حقائقها واستيعاب معانيها على مصطلحات فلسفية وتعبيرات إنسانية لاسيما إذا كانت هذه الحقائق تتعلق بالجوهر الإلهى أو الطبيعة الإلهية ؟

إنى أجرؤ على أن أقرر أن الخلاف ، كل الخلاف ، بين الكاثوليك ومن يقول بقولهم من أصحاب الطبيعتين كالبروتستانت وبعض الأرثوذكس الذى يعترفون بمجمع خلقيدونيـــة من جانب ، وبين القائلين بالطبيعة الواحدة فى السيد المسيح وممن لا يؤمنون بقانونيـــة مجمع خلقيدونية من جانب آخر — أقول إن الخلاف بين هؤلاء وأولئك خلاف فلسفى صرف يقوم على أساس التعبير الصحيح الذى ينبغى أن يُعبَّر به عن الاتحاد (ἕνωσις) الكائن بين لاهوت السيد المسيح وناسوته .

أما نحن فى الشرق ، فاننا نتخوف كل التخوف من استخدام مصطلحات فلسفية فى تعريف أو تحديد معنى أو حقيقة من الحقائق اللاهوتية . فالكنائس الارثوذكسية غير الخلقيدونية (وهى كنيسة الاسكندرية والكنيستان السوريانية والأرمنية) تؤمن بلاهوت المسيح كما تؤمن أيضاً بناسوته . ولكن المسيح عندهم طبيعة واحدة مع ذلك . وقد يبدو فى هذا نوع من التناقص . ولكن على الرغم مما يبدو فى هذا من تناقص منطقى عقلى ، إلا أن كنيستنا لا ترى فيه شيئاً من التناقص لأنها تنظر إلى طبيعة السيد المسيح نظرة صوفية روحانية يتحل فيها كل ما يبدو أمام الفكر البشرى أنه متناقص أو محال . هذه التجربة الصوفية أو الروحانية تعلو على كل تناقض عقلى أو فلسفى . فيها لا يسأل المسيحى لِمَ ؟! أو كيف ؟

إن فى ديانتنا أسراراً نؤمن بها ونقبلها بكل يقين وإيمان لا لشئ إلا لأنها قد أعلنت لنا من الله . ونحن نؤمن بها على الرغم من معارضتها لحواسنا ومناقضتها لعقلنا المادى ، لا لشئ إلا لأننا أيقنا أنها من الله . وكما نؤمن بوجود الله وأنه قادر على كل شئ ، كذلك نؤمن بأسرار ديانتنا من دون أن نكون فى حاجة إلى أن نسأل . لِمَ ؟ ! أو كيف ؟ ولا شك أن العقل الفلسفى لا يستطيع أن يقبل هذا الإيمان الصوفى . ولكنّ العقل الفلسفى ليس فى الواقع عقلا روحياً على الحقيقة . إنه عقل لا يؤمن إلا بقدراته ومقاييسه وحدها . والديانة بالنسبة إلى العقل الفلسفى هى علم يمكن أن يوضع على قدم المساواة مع أى فرع آخر من فروع المعرفة الانسانية . والعقل الفلسفى يحاول أن يخضع الديانة لذات المنهج العلمى الذى تخضع له كل فروع المعرفة المادية . ومن هنا فقد يدخل إلى الدين مناهج التحليل والتصنيف والاستنباط والاستقراء ، وما إليها من أجل أن تجعله أكثر إساغة وقبولا للعقل الفلسفى .

ويا للأسف ، أننا لا نستطيع بهذا المنهج فى معالجة المسائل الدينية والحقائق اللاهوتية ، أن نفهم روح الديانة . فعندما يتدخل العقل ، تقف التجربة الروحية الصوفية ، بل تختفى . إن لنا أن نستخدم عقولنا إلى حد معين ، وحينئذ يجب أن يقف العقل ويسلم قياده للتجربة الروحية الصوفية .

الايمان الارثوذكسى فى طبيعة السيد المسيح

إن الإيمان الأرثوذكسى كما نعترف به فى كنيستنا هو أن ربنا يسوع المسيح كامل فى لاهوته ، وكامل فى ناسوته . ومع ذلك لا نجرؤ على القول إنه إله وإنسان معاً . لأن هذا التعبير ينطوى على معنى الانفصال بين اللاهوت والناسوت. وإنما نقول بالحرى أنه « الإله المتجسد » . فاللاهوت والناسوت متحدان فيه اتحاداً تاماً فى الجوهر ، وفى الأقنوم ، وفى الطبيعـــة . ليس هناك انفصال أو افتراق بين اللاهوت والناسوت فى ربنا يسوع المسيح . بل أنه منذ اللحظة التى حل كلمة الله فى رحم السيدة العذراء ، اتخذ الأقنوم الثانى من الثالوث القدوس ، من دمها ، أى من دم العذراء ، جسداً بشرياً ذا نفس إنسانية ناطقة عاقلة ، واتحد بالناسوت الذى أخذه من القديسة مريم العذراء . فالمولود من القديسة مريم ، إذن ، هو الإله المتجسد ، جوهر واحد ، شخص واحد ، أقنوم واحد ، طبيعة واحدة . أو قل هو طبيعة واحدة من طبيعتين ، وبعبارة أخرى يمكن أن نتكلم عن طبيعتين من قبل أن يتم الاتحاد ، أما بعد الاتحاد فهناك طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين .

وعلى ذلك فالاتحاد الذى تقول به الكنائس الأرثوذكسية التى لا تعترف بمجمع خلقيدونية تختلف اختلافاً جوهرياً وأساسياً عن نوع الاتحاد الذى يقول به يوطيخا .

يقول يوطيخا إن ربنا يسوع المسيح طبيعة واحدة ، ولكن على أساس أن ناسوت المسيح قد تلاشى تماماً فى لاهوته ، اختلط به وانعدم فيه ، مثله مثل نقطة الخل عندما تختلط بالمحيط . فيوطيخا ينكر فى الحقيقة ناسوت السيّد المسيح إنكاراً تاماً .

وتقول الكنائس الارثوذكسية التى لا تعترف بمجمع خلقيدونية بأن السيد المسيح طبيعة واحدة تجتمع فيها جميع الصفات والخصائص الانسانية أو الناسوتية وجميع الصفات والخصائص اللاهوتية ، بدون اختلاط ، وبدون امتزاج ، وبدون تغيير . وهذا هو الإيمان الذى يجهر به الكاهن فى القدّاس القبطى عندما يتلو الاعتراف الأخير ، وهو يحمل الصينية المقدسة على يديه ، قائلا :

« آمين ، آمين ، آمين . أؤمن ، أؤمن ، وأعترف إلى النفس الأخير أن هذا هو الجسد المحيى الذى أخذه ابنك الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح ، (أخذه) من سيدتنا وملكتنا كلنا والدة الإله القديسة مريم ، وجعله واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ، ولا امتزاج ، ولا تغيير ...

بالحقيقة أؤمن أن لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة أو طرفة عين » .

وعلى ذلك فصفات اللاهوت باقية ، وصفات الناسوت باقية ، ولكن فى طبيعة واحدة .

« المسيح إذن من طبيعتين ، ولكنه ليس هو طبيعتين بعد الاتحاد » كما يقول البابا ديوسقورس . فلا اللاهوت امتزج بالناسوت ولا اختلط به ، ولا استحال أحدهما إلى الآخر . إنما اللاهوت والناسوت قد اتحدا . واتحادهما ليس من قبيل الاجتماع أوالاقتران أو المصاحبة (συνάφεια) ، ولكنه اتحاد بالمعنى الحقيقى لكلمة اتحاد . وإذا كان اللاهوت والناسوت قد اتحدا ، فقد صارا واحداً ، ولا مجال للقول بعد ذلك أن هناك طبيعتين ، وإلا فلا يكون الاتحاد صحيحاً أو حقيقياً .

ولكن كيف صار هذا الاتحاد ، أو كيف يكون لطبيعة السيد المسيح الواحدة صفات اللاهوت وصفات الناسوت معا بدون اختلاط وبدون امتزاج وبدون تغيير ؟ أو كيف يكون للسيّد المسيح صفات الطبيعتين ولا تكون له الطبيعتان ؟ هذا ما لانعرف . إنه سر من الأسرار الإلهية ، لايمكن أن نفهمه أو نعيه أو نحتويه فى عقولنا . من هنا سُمّى فى الاصطلاح الكنسى بسر التجسد الإلهى . فنحن نؤمن بنوع من الاتحاد يفوق كل فهم بشرى وكل تصوُّر .

قد تكون هذه مشكلة كبيرة بالنسبة للعقل الفلسفى أو للعقل المادى ، وقد يكون فيها تناقض ، وقد يكون فيها ما يتعارض مع قوانين العقل والمنطق والحس والمادة والمصطلحات الفلسفية . كل هذا قد يكون صحيحاً. ولكننا هنا فى الشرق لا نسأل كيف ؟ ولماذا ؟ ، ولكننا نصدّق ونؤمن بتجربة باطنية روحية صوفية عالية على كل منطق وعقل أن هذا أمر ممكن ، ذلك لأن الله أراده ، وإذا أراد الله شيئاً فهو ممكن ، وحتى لو كان هذا غير معقول للعقل المادى فإنه معقول للعقل الروحانى الذى لا يعرف لقدرة الله حدوداً . وهذا هو « الإيمان الذى بلا فحص » الذى يصرخ من أجله الكاهن القبطى فى خدمة القداس الإلهى .

قد نتكلم أحياناً عن الطبيعة اللاهوتية والطبيعة الناسوتية ، لكنّ هذه التفرقة تفرقة ذهنية بحتة لا وجود لها فى الواقع بالنسبة للسيد المسيح ، الإله المتأنس . ذلك أنه لم يحدث بتاتاً أن الناسوت واللاهوت كانا منفصلين أو مفترقين فى الخارج ثم اتحدا معاً بعد ذلك . إن ما حدث هو هذا : أن الأقنوم الثانى من اللاهوت القدوس نزل وحل فى أحشاء البتول مريم ، وأخذ من لحمها ودمها جسداً ذا نفس إنسانية ناطقة عاقلة .

ولهذا أشار القديس يوحنا الإنجيلى بصريح العبارة و« الكلمة صار جسداً » (καὶ ὁ Λόγος σὰρξ ἐγένετο) [1] .

---

(١) يوحنا ١ : ١٤

وليست هناك لفظة أقوى دلالة على الاتحاد الحقيقى الكامل من كلمة صار (ἐγένετο) . أليست هذه الآية وحدها تدل دلالة قاطعة على أن المولود من مريم طبيعة واحدة ، هى طبيعة الإله المتجسد ؟ ولو كان هنـــاك معنى آخر ، لما اســـتعمل الوحى الإلهى كلمة « صـــــار » (ἐγένετο) . فليست هناك إذن ثنائية فى طبيعة السيد المسيح ، بل طبيعة واحدة . وهذا برهان واضح على صحة التعبير الذى تتمسك به الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية : أن هناك طبيعة واحدة للكلمة المتجسد أو للكلمة متجسدةً (μία φύσις τοῦ Θεοῦ Λογοῦ σεσαρκωμένη) .

والاتحاد بين اللاهوت والناسوت فى السيّد المسيح يمكن تشبيهه بالاتحاد القائم بين النفس والبدن . فعلى الرغم من أن للنفس طبيعة مغايرة فى صفاتها ومميزاتها لطبيعة الجسم ، لكننا نرى أن الإنسان طبيعة واحدة هى التى نسميها « بالطبيعة البشرية » التى تجمع بين صفات روحانية وصفات مادية معاً .

ومع ذلك فهذا التشبيه ناقص لأن النفس تنفصل عن البدن بالموت . أما الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت فغير قابل للانفصال أو المفارقة لحظة واحدة أو طرفة عين .

وقد يشبّه الإتحاد بين اللاهوت والناسوت بالاتحاد القائم بين الفحم والنار ، فى جمرة الفحم . ففى الجمرة صفات

الإضاءة والإحراق ، وفيها صفات المادية من كتلة ووزن وحجم . . الخ .

ومع ذلك فهذه المشابهات جميعها ناقصة ومعيبة ، ولا يمكن مقارنتها بالاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت . إنه سرٌّ لا يعبر عنه ، يفوق العقول والأفهام البشرية .

ومرة أخرى نكرر القول إننا نؤمن بطبيعة واحدة . هذه الطبيعة ليست هى اللاهوت وحده ، وليست هى الناسوت وحده . إنها طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين معاً ، بدون اختلاط وبدون امتزاج وبدون تغيير .

• • •

أما بعد ، فيبدو أن الخلاف بين الكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية والكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية ، مجرد خلاف فى التعبير ، ذلك لأن كل فريق يقر بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت .

وإنى أرى أن هذا صحيح إلى حد بعيد ، وأن الخلاف بين الفريقين هو خلاف فى الحقيقة على التعبير الصحيح الذى ينبغى أن يُعبِّر به المسيحيون عن إيمانهم بحقيقة الاتحاد القائم بين اللاهوت والناسوت .

ومع ذلك فلكنيستنا المرقسية الأرثوذكسية وللكنائس الأرثوذكسية الأخرى التى لا تقر بقانونية مجمع خلقيدونية

أسباب تحدوها إلى أن تتمسك بالتعبير « طبيعة واحدة للكلمة المتجسد » (μία φύσις τοῦ Θεοῦ Λογοῦ σεσαρκωμένη) أو « طبيعة واحدة من طبيعتين » ، أو « طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين بدون اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير » . وهى الأسباب عينها التى ترفض من أجلها الإقرار بتعبير الغربيين « طبيعتان متحدتان » .

هذه الأسباب يمكن تلخيصها فى النقاط الآتية : —

١ — ليس هناك نص إنجيلى واحد يدل بوضوح على أن للسيد المسيح طبيعتين بعد الاتحاد .

على العكس تماماً فان هذه النصوص المقدسة تساند التعبير « طبيعة واحدة لها صفات وخواص الطبيعتين » . ونحن هنا نكتفى بإيراد بعض هذه النصوص على سبيل المثال فقط : —

قال يوحنا الإنجيلى « والكلمة صار جسداً »[1] ، وهو تعبير كما رأينا[2] يدل على الوحدة ولا يدل على الأثنينية فى طبيعة السيد المسيح .

جاء فى سفر الرؤيا قول السيد المسيح عن نفسه « أنا هو الأول والآخر ، والحىُّ وقد كنت ميتاً ، وها أنا حىٌّ إلى دهر الدهور ، ولى مفاتيح الموت والجحيم[3] .

(١) يوحنا ١ : ١٤ .
(٢) أنظر ص ١٧ .
(٣) رؤيا ١ : ١٧ ، ١٨ .

وهنا نلاحظ أن الضمير « أنا » فى هذه الفقرة لا يدلّ أبداً على الإثنينية ، وإنما يدل بالحرى على الاتحاد الحقيقى ، والطبيعة الواحدة . فالسيد المسيح هو بعينه الأول والآخر ، وهو بعينه الحىّ الذى كان ميتاً .

وهذا المعنى عينه يتضح أيضاً من قول السيد المسيح نفسه فى إنجيل يوحنا « ولم يصعد أحد إلى السماء إلاّ الذى نزل من السماء ابن البشر الذى هو فى السماء[١]

فهو إذن بعينه فى السماء ، وهو بعينه على الأرض ، وهو ابن الله ، وهو ابن الإنسان . هنا إذن هوّية ووحدانية ، وليست هنا رائحة الإثنينية ، وإنما هو جوهر واحد ، وأقنوم واحد ، وطبيعة واحدة .

ويقول القديس بولس فى حديثه إلى الكهنة الذين اجتمعوا إليه فى مدينة أفسس « احترزوا إذن لأنفسكم ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه[٢]

فكيف أمكن للقديس بولس الرسول أن يقول عن الدم الذى افتديت به الكنيسة أنه دم الله نفسه إذا كانت هناك أية ثنائية فى طبيعة السيد المسيح بأى معنى من المعانى ؟

---

(١) يوحنا ٣ : ١٣ .
(٢) أعمال ٢٠ : ٢٨ .

والرسول بولس نفسه يقرر أيضاً فى رسالته الأولى إلى كنيسة الله التى فى كورنثوس قائلا « لأنهم عرفوا لما صلبوا رب المجد[١] .

وعلى ذلك فالمخلص المصلوب هو رب المجد نفسه . مرة أخرى ليس هنا ثنائية فى الطبيعتين . وليست هنا طبيعتان ، وإنما طبيعة واحدة هى طبيعة الله المتجسد .

وهذه الحقيقة عينها تتضح من نصوص أخرى كثيرة ، منها ما ورد فى رسالة القديس بولس الأولى إلى تلميذه الأسقف تيموثيوس « عظيم هو سرّ التقوى الله ظهر فى الجسد»[٢] « المسيح يسوع ... الذى إذ هو فى صورة الله لم يعتد مساواته لله اختلاساً . لكنه أخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه البشر . وإذ وجد فى الهيئة كبشر . وضع نفسه وأطاع حتى الموت ،موت الصليب[٣] » .

وهناك فقرات أخرى كثيرة تؤيد القول بالطبيعة الواحدة نذكر منها (متى ٣ : ١٧) ، (لوقا ١ : ٤٤) ، (يوحنا ١ : ١٨) ، (يوحنا ٣ : ١٦) ، (يوحنا ٨ : ٥٨) ، (اكورنثوس ٨ : ٦) ، (اكورنثوس ١٠ : ٤ ، ٩)، (غلاطية ٤ : ٤) ، (أفسس ٤ : ٨ — ١١) ،

---

(١) ١ كورنثوس ٢ : ٨ .
(٢) ١ تيموثيوس ٣ : ١٦ .
(٣) فيلبى ٢ : ٦ — ٨ .

(كولوسى ١ : ١٥ ، ١٦) ، (كولوسى ٢ : ٩) ، (تيطس ٣ : ١٣) ، (عبرانيين ١ : ١ — ٣) ، (عبرانيين ٢ : ٩ ، ١٠) ، (عبرانيين ١٣ : ٨) .

ثانياً — إن التعبير القائل بطبيعتين متحدتين للسيد المسيح — وهو التعبير الذى تقول به الكنائس الخلقيدونية — تعبير خطر لأنه يشتمل على معانى ، أو على الأقل على احتمالات بمعانى ، تتعارض مع حقائق ديانتنا المسيحية .

١ — إنه يتضمن الثنائية فى السيد المسيح . والثنائية نوع من الافتراق والانفصال بين لاهوت السيد المسيح وناسوته . والاّ فلماذا تُصرّ الكنائس الخلقيدونية على القول بطبيعتين متحدتين ، ولا يقولون بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد ؟!

٢ — إن تعبير الكنائس الخلقيدونية القائل « بطبيعتين متحدتين » يحمل التصريح بأن هناك طبيعتين للسيد المسيح ، كانتا مفترقتين ثم اجتمعتا معاً . وهذا يفتح السبيل للمذهب النسطورى بعينه ، وهو المذهب الذى ترفضه الكنائس الخلقيدونية نفسها رفضاً باتاً ، وتعتبره هرطقة فاسدة .

٣ — إن تعبير « الطبيعتين المتحدتين » تعبير هادم لقضية الفداء والخلاص الذى قام به السيد المسيح من أجل الجنس البشرى .

لأنه إذا كانت للسيد المسيح طبيعتان بعد الاتحاد ، فمن المنطقى أن عمل الفداء قام به جسم السيد المسيح ، لأنه هو الذى وقع عليه فعل الصلب . وعلى ذلك ففداء المسيح ليست له أى قوة على خلاص الجنس البشرى ، إذ يكون الذى مات من أجل العالم هو إنسان فقط ، مع أن الفداء يأخذ كل قيمته فى أن الذى صلب عنا هو بعينه الكلمة المتجسد . حقاً إن اللاهوت لم يتألم بآلام الصليب التى وقعت على ناسوت المسيح ، ولكن اللاهوت هو الذى أعطى فعل الصلب قيمته اللانهائية لفداء جميع أفراد النوع الإنسانى .

إن التعبير « طبيعة واحدة لها صفات وخصائص الطبيعتين » تعبير سليم ينقذ قضية الفداء من الانهيار ، بينما أن القول بطبيعتين متحدتين يتقبل الاحتمال بأن الصلب كان صلباً لجسد يسوع فقط ، ولم يكن صلباً للمسيح باعتباره الإله المتجسد ، وهذا يفقد الخلاص كل قيمته التى يتعلق عليها فداء الجنس البشرى بأسره . وهو معنى تعارضه كل نصوص

الكتاب المقدس التى تتكلم عن الفداء . ولسنا فى حاجة إلى أن نكرر مرة أخرى ما قاله الرسول القديس بولس من أن الدم الذى سفك لافتداء البشرية هو دم الله عينه « كنيسة الله التى افتداها بدمه »[1]

٤ — إن تعبير الطبيعتين المتحدتين لا يستطيع أن يفسّر اعتقاد الكنيسة الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية ، فى أن القديسة مريم هى والدة الإله (Θεοτόκος)

لست أدرى كيف يستطيع الكاثوليك والأرثوذكس الخلقيدونيون ، أن ينقدوا أو يبرروا اعتقادهم فى أن السيدة العذراء هى والدة الإله ، إذا كانوا يُصرُّون على القول بأن للسيِّد المسيح طبيعتين متحدتين ؟

أمَّا التعبير القائل بطبيعة واحدة للكلمة المتجسد ، فهو وحده الذى يمكن أن يفسّر الاعتقاد فى أن العذراء والدة الإله ، من حيث أنَّ الذى ولد من مريم هو الإله المتجسد . ولو كان فى المسيح طبيعتان لكانت العذراء والدة الإنسان يسوع فقط .

(١) أعمال ٢٠ : ٢٨ .

ولا يصح تلقيبها بوالدة الإله ، لأنها ليست أصلا للاهوت . فالقول بطبيعتين فى المسيح يُسلِم إلى الاعتقاد النسطورى الذى يؤيده البروتستانت بكافة نحلهم ومذاهبهم ، وهو أن العذراء ليست والدة الإله ، وانما هى والدة الإنسان يسوع ! ! !

* * *

وبالاجمال فإن هذه هى أهم الأسباب التى من أجلها تتمسك الكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية (وهى الكنيسة المرقسية الاسكندرية فى مصر وأثيوبيا وكل أفريقيا وفى الأردن وفلسطين ، والكنيسة السريانية الأرثوذكسية والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية) بالتعبير التقليدى « طبيعة واحدة للكلمة المتجسد » (μία φύσις) الذى قال به آباء الكنيسة من أمثال أثناسيوس الرسولى ، والبابا كيرلس الأول الملقب بعمود الدين ، وترفض القول بطبيعتين متحدتين . وهى الأسباب عينها التى تحدو هذه الكنائس غير الخلقيدونية إلى رفض الاعتراف برسالة أو طوموس (τόμος) ليون أسقف روما ، وبتحديدات مجمع خلقيدونية ، لأن كلا من تلك الرسالة وهذه التحديدات تشتمل على القول صريحاً بأن للسيد المسيح طبيعتين متحدتين ، وهو التعبير الذى ينطوى على احتمالات خطيرة من الوجهة اللاهوتية كما أسلفنا .

* * *

هذا هو الوضع اليوم ، الوضع الصحيح للمشكلة القائمة بين القائلين بالطبيعة الواحدة والقائلين بالطبيعتين ، وهى مشكلة التعبير الصحيح الذى يجب أن يُعبَّر به المسيحيون عن اعتقادهم فى لاهوت السيد المسيح وناسوته فى نفس الوقت .

ولا شك أن الكنائس الكاثوليكية والكنائس الأرثوذكسية التى تقر بمجمع خلقيدونية ليست نسطورية على الإطلاق . كما أن الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة التى لا تقر بمجمع خلقيدونية ليست بأوطاخية على الإطلاق .

لذلك فإننا لم نفقد الأمل فى أنه سيأتى إن شاء الله اليوم السعيد الذى يوفق فيه المسيحيون إلى التعبير الواحد الذى يترجم عن عقيدتهم فى طبيعة السيد المسيح .

ولا شك فى أننا فى حاجة ماسة إلى مجمع مسكونى عام يضع صيغة هذا التعبير الموحد . ولكن إلى أن تتحقق هذه الأمنية السعيدة يجب أن نرحب بالمؤتمرات ، فأنها السبيل الوحيد بين اللاهوتيين فى الوقت الحاضر لتقريب وجوه النظر ، وتصحيح الأفكار الخاطئة التى يحملها الغرب على الخصوص عن عقيدة الكنيسة المرقسية الأسكندرية والكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة ، واتهامها بالأوطاخية ذلك الاتهام الظالم الذى ليس له على الإطلاق سند من واقع .

فلنصلِّ إلى الله من أعماق قلوبنا من أجل وحـــدة كنيسة المسيح ، حتى يمكنها أن تحمل مشعل الحق الإلهى ، وتكرز بأنجيل المسيح بغير عثرة ، وتهدم صروح الشر ، وتقاوم الإلحاد والمادية .

إن وحدة الكنيسة الجامعة الرسولية ليست فقط تطابق إرادة الله المقدسة ولكنها الشرط الذى اشترطه السيد المسيح من أجل نشر رسالته بين غير المسيحيين لإنه يقول « ولست أسأل من أجل هؤلاء (التلاميذ) فقط ، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى عن كلامهم ، ليكونوا بأجمعهم واحداً كما إنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا حتى يؤمن العالم أنك أنت أرسلتنى [1]

---

(١) يوحنا ١٧ : ٢٠ ، ٢١ .

الرّد على
مقال عن الأرثوذكسيّة

للدكتور مجدى وهبة

نشر بصفحة الرأى بجريدة الأهرام

بتاريخ ٨ أبريل عام ١٩٦١

كتب السيد الدكتور مجدى وهبة مقالا فى صفحة الرأى بجريدة الأهرام بتاريخ ٨ أبريل ١٩٦١ مقالا عن الارثوذكسية تحت عنوان « مفاهيم » ، ذهب فيه إلى أن الارثوذكسية ومعناها الايمان الصحيح ، أصبحت تطلق على الكنائس المسيحية الشرقية التى خرجت على المسيحية الغربية فى القرن الحادى عشر . وبذلك أنكر الدكتور مجدى على الكنائس الشرقية القديمة أرثوذكسيتها ، ومن أهمها الكنيسة القبطية المرقسية الارثوذكسية فى الإقليم المصرى والنوبة والسودان واثيوبيا وكل أفريقيا والأردن وفلسطين ، ومن بينها أيضا الكنيسة السريانية الأرثوذكسية فى الاقليم السورى وبلادالهند ، ومن بينها كذلك الكنيسة الأرمنيةالأرثوذكسيةالمنتشرة فى أرمينيا وبلاد أخرى كثيرة . . . علماً بأن هذه الكنائس الشرقية القديمة كانت تسمى أرثوذكسية قرونا طويلة قبل الكنائس الارثوذكسية الأخرى التى خرجت على المسيحية الغربية فى القرن الحادى عشر وعلى رأسها كنائس القسطنطينية ، واليونان وشرق أوربا وروسيا . . . فكيف جاز للدكتور مجدى أن ينكر أرثوذكسية الكنيسة القبطية وزميلاتها الكنائس الارثوذكسيةالقديمة؟ ! انه ما من مؤرخ يستطيع أن يُغفل الدور الكبير الذى قامت به كنيسة الاسكندرية (وهى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية) فى قيادة الفكر المسيحى

نحو الاستمساك بالتعليم الارثوذكسى القديم فيما يتصل بطبيعة السيد المسيح . وكان باباواتها بين عمالقة التاريخ من أمثال كيرلس الاسكندرى الأول الملقب بعمود الدين ، وديوسقورس العظيم المعروف ببطل الأرثوذكسية ، وذلك كان كله فى القرن الخامس لميلاد المسيح . وفى القرن الخامس حدث الانشقاق الكبير بين الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية ، بسبب مجمع خلقيدونيا الذى عقد عام ٤٥١م ، فأصبحت كنائس الشرق تحت قيادة كنيسة الاسكندرية تعرف بالكنائس الأرثوذكسية ، وكنائس الغرب تحت قيادة كنيسة روما تعرف بالكنائس الكاثوليكية ، إلى أن جاء القرن الحادى عشر حيث انفصلت كنائس القسطنطينية واليونان وشقيقاتها عن الكنيسة اللاتينية ، واصبحت هى الأخرى تعرف بالكنائس الأرثوذكسية إعلانا عن احتجاجها على تعليم كنيسة روما .

٢ — ويبدو جليا أن الدكتور مجدى وهبة قد استقى كل معلوماته فى مقاله عن « الأرثوذكسية » من مصادر غربية كاثوليكية بدليل أنه عندما تكلم عن القبط والأرمن واليعاقبة (وهم السريان ، أو السوريون الأرثوذكسيون) جعلهم سيادته فى صف واحد مع النساطرة ! ! والنساطرة على

ما نعلم هم أتباع نسطور الذى عُدَّ هرطوقيا وخارجا على التعليم المسيحى . قال سيادته بالحرف الواحد « فوصف المسيحيون الشرقيون أنفسهم بالأرثوذكسية ليميزوا بينهم وبين الكنيسة الغربية من جهة والخارجين عليهم من المسيحيين الشرقيين أمثال الأرمن والقبط والنساطرة واليعاقبة من جهة أخرى . وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الطوائف المذكورة لا تزال تصف نفسها بالأرثوذكسية أيضا !!!

اننا نحيل الدكتور مجدى وهبه على كتب التاريخ كما كتبه الشرقيون أيضا ، فليس من الإنصاف للحقيقة أبداً أن يعتمد سيادته على الكتب التى تصوِّر وجهة النظر الغربية وتشوِّه وجهة نظر الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة .

ومما يجدر ذكره هنا أن الاتجاه السائد الآن عند اللاهوتيين فى الكنائس اليونانية والروسية وشرق أوربا عامة ، هو إلى تصحيح وجهة النظر التى عبَّر عنها الدكتور مجدى وهبة فى مقاله واعتبارها وجهة نظر ظالمة فيها كثير من الحيف والتجنى على الكنائس الأرثوذكسية القديمة .

وأذكر هنا أيضا أننى دعيت إلى إحدى المؤتمرات العالمية وقد انعقد بضاحية أبنجدون Abingdon بالقرب

من أوكسفورد بانجلترا ،وكان ذلك فى يوليو عام ١٩٥٤ .
وعرضت فى هذا المؤتمر وجهـــة نظر كنيسة الأسكندرية فى نقطة الخلاف الأساسية بين الكنائس الشرقية والغربية ، ورددت فى كلمتى على جميع الأفكار الخاطئة التى اشتملت عليها كتب الغرب ، وصححت الكثير من الظنون والأوهام التى يتهمنا بها الغرب . وقد لاقت الكلمة استحسانا عجيباً وقوبلت بكثير من الدهشة ،ووجه المؤتمرون إلىّ أسئلة وأجبت على جميع أسئلتهم . واعترف الكثيرون منهم بأننى غيّرت وجهة نظرهم عن الكنيسة القبطية الارثوذكسية تغييراً أساسيا وعلّق بعضهم تعليقات فيها تأييد وتقدير ، ودارت مناقشات كثيرة . وانتهى المؤتمرون إلى أن أفضل طريقة للتفريق بين الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة (وعلى رأسها كنيسة الاسكندرية القبطية وأتباعها والكنيسة السريانية الأرثوذكسية والكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية) وبين الكنائس الأرثوذكسية الأخرى (كاليونان والروس وشرق أوربا عامة) هو التفريق بينها على أساس اعترافها أو عدم اعترافها بمجمع خلقيدونيا . وعلى ذلك سميت الكنائس الشرقية القديمة بالكنائس الأرثوذكسية غير الخلقيدونية ، وسميت كنائس اليونان وروسيا بالكنائس الأرثوذكسية الخلقيدونية .

٣ — وثمّت دليل آخر على أن الدكتور مجدى يمثّل وجهة النظر الغربية وهو قوله فى نفس المقال « ونقطة الخلاف تنحصر فى أن هذه الطوائف لا تعتقد بوجود طبيعتين للمسيح طبيعة إلهية وأخرى بشرية بل له طبيعة إلهية واحدة ، خلافاً لما قرره مجمع خلقيدونية لمثلى جميع الكنائس المسيحية سنة ٤٥١ م » . وهذا خطأ صريح وقع فيه الدكتور مجدى فإن الكنائس الأرثوذكسية الشرقية القديمة — وهى التى لا تعترف بمجمع خلقيدونية — تؤمن بطبيعة واحدة للسيد المسيح لها صفات اللاهوت والناسوت معاً . ليست إذن هذه الطبيعة الواحدة هى الطبيعة الإلهية كما يزعم الدكتور مجدى ، لأن الذى يقول بذلك هو يوطيخا Eutyches وليست كنائس القبط والسوريين والأرمن . إن أوطيخا يعد فى نظر هذه الكنائس الأرثوذكسية هرطوقيا وخارجاً على التعليم الأرثوذكسى لأنه قال بامتصاص الطبيعة الإلهية للناسوت ، وملاشاة الناسوت فى اللاهوت كما تتلاشى نقطة من الخل فى المحيط . أما كنائس القبط والسوريين والأرمن ومن إليهم فيقولون بأن اللاهوت قد اتحد بالناسوت اتحـــاداً جوهرياً أقنومياً طبيعياً ، ولكن من دون أن يختلط الناسوت باللاهوت أو يمتزج فيه أو يتغير أحدهما إلى الآخر . فالاتحاد قائم بين اللاهوت والناسوت من غير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير .

لأنه إذا كان هناك اتحاد حقيقى ، فلا تكون هناك أثنينية ، وإنما هناك طبيعة واحدة وأقنوم واحد فيه أو فيها صفات اللاهوت والناسوت معاً . وهذا هو الفارق الضخم بين العقيدة الأثوذكسية كما يُعَلِّم بهـا آباء القبط والسريان والأرمن ومن إليهم ، وبين المذهب الأوطاخى . وهوالفارق الجوهرى الأساسى الذى يُغفله المؤرخون الغربيون لتشويه وجهة نظر الكنائس الأرثوذكسية القديمة . وللأسف فإن الدكتور مجدى وهبه قد تأثر بمؤلفى الغرب فى التأريخ لمسألة عقيدية دقيقة حساسة من دون أن يرجع إلى كُتَّاب الكنائس الشرقية القديمة وهم أقرب إليه لأنه يحيا معهم فى الشرق .

٤ — وأخيراً فليس صحيحاً كذلك ما ذهب إليه دكتور مجدى وهبة فى خاتمة مقاله ، قال سيادته « وفيما عدا نقطة الخلاف هذه فإن كل الطوائف الأرثوذكسية تدين بنفس معتقدات الكنيسة المسيحية فى صورتها الكاثوليكية إلا فى شىء واحد هو زعامة البابا وعصمته من الخطأ حينما يعظ بوصفه رئيساً للكنيسة » . فالواقع أن الارثوذكسيين بنوعيهم — سواء الذين لا يعترفون بمجمع خلقيدونية أو الذين يعترفون به — يختلفون مع الكاثوليك فى أمور أخرى غير عصمة بابا روما ، ومنها على الخصوص موضوع

انبثاق الروح القدس . كما أن الأرثوذكسيين لا يقرّون كذلك رياسة القديس بطرس على سائر التلاميذ ، ولا وجود مطهر فى العالم الآخر ، ولا بأن السيدة العذراء حُبِل بها من غير دنس الخطيئة الأصلية ، هذا عدا اختلافات كثيرة فى أمور أخرى طقسية تتصل بمباشرات أسرار الكنيسة لا محلّ لذكرها هنا . ونحن نحيل الدكتور مجدى على الكتب اللاهوتية الخاصة بهذه الموضوعات ، فإن فيها الإيضاح الوافى.

منشورات كلية البابا كيرلس السادس اللاهوتية

١ — سلسلة المباحث اللاهوتية والعقيدية

(١) أهمية العقيدة الأرثوذكسية للحياة الروحية
أو الرد على اللاطائفية المسيحية
(ظهر فى نوفمبر سنة ١٩٦٠) .

(٢) تعليم كنيسة الاسكندرية وأخواتها الكنائس
الأرثوذكسية الشرقية القديمة فيما يختص بطبيعة
السيد المسيح (ظهر فى يونيو سنة ١٩٦١)

(٣) أثر العقيدة الأرثوذكسية فى الحياة الروحية
(تحت الطبع)

٢ — سلسلة المباحث المتصلة بالشباب والأسرة

المشكلة الجنسية وكيف نجابهها (تحت الطبع)

مطابع کوستاتسوماس وشرکاه

اللجنة العليا لمدارس التربية الكنسية الأرثوذكسية بالقاهرة

الثمن ٤ ص

مطابع كوستاتسوماس وشركاه